مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (11)، العدد (1)، ص ص 349-398، (محرم 1439هـ/ سبتمبر 2017)

الأزمات الاقتصادية في المدينة النبوية خلال العصر المملوكي: أسبابها وآثارها وسبل مواجهتها (648-923هـ/1250-1517م)

م. ريما بنت صالح القرناس
قسم التاريخ، جامعة الملك فيصل

ملخص البحث. لا يخفى ما تمثله المدينة النبوية من أهمية تاريخية ودينية لدى المسلمين؛ كونها دار الهجرة، وثاني الحرمين، ومدينة الرسول ومثوى جسده الطاهر ρ، وأول عاصمة للدولة الإسلامية. ولقد حظيت المدينة النبوية على مرّ العصور باهتمام ملحوظ من قِبل الحكومات الإسلامية المتعاقبة، وشهدت تطوراً حضارياً إبان العصر المملوكي، ومع ذلك فقد برزت عقبات وقفت في بعض الأحيان أمام هذا التطور, ومنها الأزمات الاقتصادية التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى ما بين ارتفاع أسعار المواد الغذائية ارتفاعًا باهظًا أو ندرتها في السوق, وبين خراب المزارع وفساد المأكولات وغير ذلك.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع وملاحق؛ ففي المبحث الأول جاء الحديث عن أسباب الأزمات الاقتصادية في المدينة، وفي المبحث الثاني تحدثت عن الآثار الناتجة عن الأزمات الاقتصادية على مختلف الأصعدة، والمبحث الأخير عن الجهود المختلفة للتخفيف منها، وأخيراً خاتمة البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع، ثم ذيلت البحث بملاحق عبارة عن خريطة للمدينة ووثيقة قايتباي، ثم جداول توضح أسعار المواد الغذائية، وأنواع الأزمات الاقتصادية وسنوات حدوثها.

المقدمة

شهد العالم على مر التاريخ أزمات متعدة، منها الأزمات السياسية والفكرية والاقتصادية والمرضية وغير ذلك، وخصّص الحديث عن الأزمات الاقتصادية كونها الهاجس الأكبر لمختلف الدول، والتي لم تسلم منها دولة دون أخرى، فالأزمات الاقتصادية قديمة قدم البشر، وتتنوع حسب المسببات والعوامل المؤثرة فيها، فقد تكون أزمة اقتصادية بسبب عوامل طبيعية بحتة أو تكون بسبب مؤثرات بشرية، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في قصة يوسف ں، قال تعالى: ﭽ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ھ ھ ﭼ سورة يوسف، الآيات 46 - 49.

فالآيات الكريمة أشارت لحدوث أزمة اقتصادية ستعاني منها البلاد وتستمر لفترة سبع سنوات قادمة، وفيها حلول لمعالجة الأزمة قبل وقوعها، فهي كانت عبارة عن رؤيا تنذر بوقوع أزمة. وكان الحل المقدّم هو المطالبة بالادخار والصرف حسب الحاجة وحسب الإمكانيات.

وقد سجّل المؤرخون العديد من الأزمات الاقتصادية التي شهدتها الدول الإسلامية على مرّ العصور المختلفة، منهم من أزاح الستار عن مسبباتها وعرض آثارها ثم قدّم أنسب الحلول لمواجهتها سواء من السلطة الحاكمة أو من المسؤولين وعامة الشعب، ومن أشهر هؤلاء المؤرخين نجم الدين ابن فهد (ت885هـ/1480م) في كتابه إتحاف الورى، وكذلك المقريزي في كتابه السلوك لمعرفة الملوك وكذلك كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة وغيرهم الكثير[1].

(1) من هؤلاء المؤرخين الذين دونوا الأزمات الاقتصادية في مؤلفاتهم نذكر: الطبري (ت310 / 923م) في كتابه تاريخ الرسل والملوك، وكذلك ابن الأثير (630هـ/1233م) في كتابه الكامل في التاريخ، وابن الجزري (ت738هـ/1337م) في كتابه تاريخ حوادث الزمان، وابن كثير (ت774هـ/1372م) في كتاب البداية والنهاية، والفاسي (ت832هـ/1428م) في كتابه شفاء الغرام، والجزيري (ت977هـ/ 1569م) في كتاب الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة وغيرهم الكثير .

وقد اخترت ميدان البحث المدينة النبوية[2] خلال العصر المملوكي، فمنذ أن دخلت تلك المنطقة في نفوذ الدولة المملوكية ـ التي حكمت العالم الإسلامي في الفترة الممتدة من 648 ـ 923هـ / 1250 ـ 1517م ـ نجد أنها أولت بلاد الحجاز بشكل عام ومدينة المصطفى ρ بوجه خاص مزيدًا من الرعاية والاهتمام، وتجلى ذلك واضحًا عند حدوث الأزمات الاقتصادية ـ موضوع دراستنا ـ حيث تعرضت المدينة لعدد منها في فترات مختلفة طوال العصر المملوكي، وكان لذلك مسببات منها بيئية ومناخية كالسيول والرياح القوية أو وصول الجراد والتي تؤدي كلها إلى إتلاف المزارع والمحاصيل الزراعية، أو سياسية كحدوث الثورات، أو اقتصادية كفرض المكوس الباهظة، وأسباب أخرى كانقطاع الميرة أو غرق السفن المحملة بالقمح، فكانت أسعار السلع ترتفع وتنخفض على إثر ذلك، كما أنها تنوعت ما بين غلاء الأسعار أو قلة وانعدام المواد الغذائية وبالأخص الأساسية منها كالتمر والقمح والحنطة، وكذلك القحط وقلة الأمطار، وما خلفته تلك الأزمات من آثار سلبية كتفشي الفقر وانتشار الأوبئة واضطرار الناس للسؤال في ظل الحاجة، إلى جانب الحد من النمو السكاني وتزايد الوفيات، وحدوث المجاعات والعطش، وإتلاف المزارع، والهجرات الجماعية، وكذلك تخلخل التركيبة الطبقية للمجتمع.

فقد تطلّب ذلك تقديم المساعدات المستمرة والمقطوعة لمعالجة الأزمات الاقتصادية التي حلّت بالمنطقة، والحد من أضرارها، فكانت المساعدات تتوالى من حكام وسلاطين الدولة المملوكية، ومن أمراء المدينة وكذلك من المسؤولين والتجار ومن أمراء الحج ومن بيده القدرة على المساعدة؛ وذلك لإنعاش مستوى المعيشة في المدينة النبوية.

وكان لسلاطين المماليك وأمراء الحج مواقف حاسمة في محاولتهم القضاء على مسببات الأزمات الاقتصادية، وكان لإسهاماتهم بالغ الأثر في التخفيف من وطأة كثير من الأزمات الاقتصادية، من جانب آخر فقد برز دور الأوقاف الخيرية وتم تخصيص الإقطاعات من سلاطين المماليك لأمراء المدينة كعامل مؤثر في الحد من الأزمات الاقتصادية.

---

(2) انظر خريطة أثرية تقريبية للمدينة النبوية ص 383.

وتكمن أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره: كونه من أحداث الساعة الراهنة حيث شهدت مناطق مختلفة من العالم أزمات اقتصادية خانقة ـ لمختلف الأسباب ـ رأيت الكتابة عن هذا الموضوع في مدينة الرسول ρ مكانيًا؛ لأهميتها الدينية والروحية وما يميزها عن غيرهما من المناطق الأخرى دينيًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وزمنيًا في عصر يعتبر من أزهى العصور الإسلامية، وهو العصر المملوكي عصر التطور الحضاري الفكري والعلمي والاقتصادي، مع الأخذ في الاعتبار ماهية الحلول التي قدمّت لمواجهة الأزمات الاقتصادية، والحلول الاستباقية لتفادي حدوث الأزمات.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وملاحق وقائمة بالمصادر والمراجع؛ ففي المبحث الأول جاء الحديث عن أسباب الأزمات الاقتصادية في المدينة، وفي المبحث الثاني تحدثت عن الآثار الناتجة عن الأزمات الاقتصادية على مختلف الأصعدة، والمبحث الأخير عن الجهود المختلفة للتخفيف منها وكذلك الجهود الاستباقية التي قدمت لتفادي الأزمات الاقتصادية، وأخيراً خاتمة البحث، وملاحق عبارة عن خريطة للمدينة ووثيقة قايتباي، ثم جداول توضح أسعار المواد الغذائية، وأنواع الأزمات الاقتصادية وسنوات حدوثها وأخيرًا قائمة المصادر والمراجع.

على أن هناك عدد من الدراسات الحديثة تطرقت لموضوع الأزمات الاقتصادية في المدينة والتي ذكرت في ثناياها الأزمات الاقتصادية عرضًا أثناء الحديث عن المساعدات المقدمة للمدينة النبوية أو تخصيص الأوقاف، والجديد في هذا البحث هو رصد الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها المدينة النبوية طوال العصر المملوكي، مع تحديد مسبّبات كل أزمة وآثارها على المجتمع المدني وعلى مستوى معيشتهم، وعلى اقتصاد المدينة بشكل عام، مع تتبع تطورات الأزمات في سنوات حدوثها، وما انتهجته سلطنة المماليك ممثلّة في حكامها وعدد من المسؤولين للتخفيف من وطأة الأزمات الاقتصادية أو المساعدة في إنهائها، بتقديم المساعدات الغذائية الأساسية، أو تقديم الأموال، وكذلك

تخصيص ريع الأوقاف للمدينة النبوية. وضرورة قيام كل مسؤول بدوره المناط به، للتخفيف من حدة الأزمات الاقتصادية.

المبحث الأول: أسباب الأزمات الاقتصادية

قبل الحديث عن مسببات الأزمات الاقتصادية في مدينة الرسول ρ، يجدر بنا تحديد مصطلح الأزمة والأزمة الاقتصادية، ومن ضمن التعريفات ما يلي:

الأزمة لغة: الشدّة والضيق[3]، وأزم عليهم العام والدهر: اشتدّ قحطه، وقيل: اشتدّ وقلّ خيره، ويقال: أصابتنا أزمة أي شدة[4]، وللأزمة تعريفات متنوعة بحسب ما ينسب إليها فيقال: أزمة مالية، وأزمة سياسية، وأزمة مرضية[5]. وتُعرف الأزمة الاقتصادية بأنها اضطراب فجائي يطرأ على التوازن الاقتصادي في بلد ما أو عدة بلدان[6]. وعرفت بأنها ندرة الموارد أمام حاجات الناس[7]، وعليه بالإمكان تعريف الأزمة الاقتصادية: بأنها خلل في الموارد تسبب اضطراباً في المستوى المعيشي يؤدي إلى خسائر متنوعة منها خسائر مادية وبشرية تؤثر على الدولة حكامًا وأفرادًا، الجدير بالذكر أن لكل أزمة بمفهومها الواسع مقدمات إذا أهملت ولم يتم التعامل معها وفقاً لمعطيات حدوثها أو لم يتم معالجتها في وقتها، فهي تتفاقم شيئًا فشيئًا حتى تحدث هذه الأزمة كارثة ومحنًا عند

(3) الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي وآخرون، راجعه: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1395هـ/1975م، ج31، ص 213؛ إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1429هـ، ص16.

(4) ابن منظور المصري: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت، ج1، ص74.

(5) الزبيدي: تاج العروس، ج31، ص 213؛ إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ص16.

(6) حسن النجفي: القاموس الاقتصادي، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، 1977م، ص89.

(7) حسين حامد محمود: النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، الحميضي، الرياض، ط1، 1421هـ، ص105.

تجاهلها، ومن ثم تكون الجهود أكبر لمواجهتها وأعظم لإصلاح ما أفسدته وما نتج عنها من أضرار.

كانت الأوضاع الاقتصادية في المدينة في عصر دولة المماليك غير مستقرة؛ فقد تعددت الأزمات الاقتصادية بها واشتد الغلاء في فترات مختلفة، بل كانت أسعار السلع ترتفع وتنخفض حسب الظروف السياسية والاقتصادية والمناخية(8)، فالظروف السياسية تمثلت في كثرة الفتن أو المنازعات الداخلية بين أشراف المدينة على الحكم وانشغالهم في بعض الأوقات عن رعاية أهل المدينة, وفرضهم المكوس على السلع الاستهلاكية، وانقطاع وصول الصدقات والأعطيات(9)، أو بسبب زيادة أسعار السلع وارتفاعها في الأقطار المجاورة كمصر والشام واليمن والعراق؛ لأن كثيرًا من السلع تأتي إلى أسواق المدن الحجازية من تلك الأقطار، أو بسبب الظروف المناخية التي تمثلت بندرة سقوط الأمطار في المنطقة التي تعتمد على الزراعة الموسمية المرتبطة بالمطر(10)، مما يؤدي لحدوث القحط المسبب غالبًا لحدوث نوبات الغلاء التي قد تتفاقم أحيانًا إلى حد المجاعة وأحيانًا أخرى إلى انتشار الأوبئة والوفيات(11)،

(8) عبد الرحمن مديرس المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1422هـ/2001م، ص121؛ محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1425هـ، ص113.

(9) أحمد هاشم بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، دراسة تاريخية وثائقية حضارية، مركز بحوث ودراسات المدينة، المدينة المنورة، ط1، 1426هـ، ص275.

(10) ضيف الله يحيى الزهراني: أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة خلال الفترة (648-923هـ/1250-1517م)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1411هـ/1991م، ص 69 . 70.

(11) عائض محمد الزهراني: التاريخ السياسي والحضاري لمكة المكرمة من خلال كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى لمؤلفه جار الله محمد بن فهد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1419هـ، ص 492 . 493.

فضلًا عن الكوارث الطبيعية المتمثلة في الزلازل والسيول، وأسراب الجراد[12] وغير ذلك.

وفي خضم هذه الظروف التي كانت تعصف بالمدينة بين الحين والآخر كان السلاطين والأمراء وعامة المسلمين يهبون لتقديم المساعدات اللازمة للأهالي لمواجهة أوقات الشدة والأزمات حتى تزول تلك الظروف الطارئة ويعود الرخاء من جديد لسكان المدينة[13]. وسوف نستعرض فيما يلي أسباب الأزمات التي تعرضت لها المدينة، وأثرها على السكان، وكيفية مواجهتها ورعاية المتعرّضين لها.

أولًا: الأسباب الطبيعية والمناخية

ثمة أسباب طبيعة ومناخية حدثت في المدينة إبان العصر المملوكي أدت إلى أزمات اقتصادية متنوعة، ومن ذلك ما تعرضت له المدينة النبوية من أزمة اقتصادية سنة 686هـ/1287م حيث تعرضت لسيول أعقبها وصول أسراب من الجراد، فاجتمع على السكان حينها ضرر ثنائي تمثل في السيول الجارفة والجراد[14].كما هجم الجراد وبكميات كبيرة أيضاً في سنة 727هـ/1326م, وأهلك الكثير من الزروع والثمار[15]. وفي سنة 826هـ/1422م وصلت أعداد كبيرة من الجراد إلى المدينة، وصفه المقريزي بأنه جراد عظيم، أكل الأسابيط[16] من فوق

---

(12) **السِّرب**: جماعة النحل والجمع أسْرَاب. للمزيد انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج3، ص51.

(13) فهد بن صالح النغيمشي: العمل الخيري وأثره في المجتمع المكي خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، 1430هـ، ص 108.

(14) المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 1427هـ/2006م، ج1، ق3، ص737. ابن الفرات: محمد عبد الرحيم: تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1939م، ج 8، ص52.

(15) الجزري: محمد بن إبراهيم: تاريخ حوادث الزمان وإنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 1419هـ/1998م، ج2، ص 179.

(16) **الأسابيط**: جمع سُبَاطَة، وهي عذق النخلة بعراجينها ورُطَبها، والكلمة مصرية. للمزيد انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج19، ص336.

النخل حتى أمحلت[17]، وتسلطت حينذاك الأرضة[18] على ما بقي من المزارع وأتلفتها[19].

وتعرضت المدينة لموجات من القحط والجفاف تسبب في أزمات اقتصادية عديدة, ومن ذلك ما حدث فيها من غلاء نتيجة القحط سنة 664هـ/1265، واستمر أربع سنوات[20]، وفي سنة 668هـ/1269م وقع قحط في المدينة نتيجة زلزلة حدثت في الطائف، فأكمل بذلك السنة الخامسة[21]. كما تعرضت المدينة في سنة 694هـ/1294م لقحط بعد انعدام الأمطار، حيث عمّ الغلاء ممالك المشرق والمغرب وكذلك الحجاز بسبب القحط[22]، وفي السنة التالية 695هـ/1295م ـ عام الكوارث على جميع المناطق والبلدان ـ تعرضت المدينة لغلاء الأسعار، وكان الغلاء في الحجاز عامة، فوصل سعر الأردب من القمح إلى تسع مائة درهم، والشعير إلى سبع مائة، ولم يذكر المؤرخون سبب الغلاء، وقد ذكر العيني أن الغلاء والمجاعة والفناء وسوء الأحوال الاقتصادية شملت

---

(17) **المُحل**: هو الشدة والجدب والجوع الشديد. للمزيد انظر: ابن منظور: جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ج46، ص4147.

(18) **الأرضة**: دودة بيضاء شبه النملة، وهي ضربان: ضرب صغار وهي آفة الخشب، وضرب مثل كبار النمل، ذوات أجنحة وهي آفة كل شيء من خشب ونبات. للمزيد انظر: الزبيدي: تاج العروس، ج18، ص227؛ عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، المدينة المنورة، ط1، 1414هـ، ج2، ص291.

(19) المقريزي: السلوك، ج4، ق2، ص650؛ عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل، ج2، ص291.

(20) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج8، ص 211 . 212؛ الجزيري: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ط2، 1429هـ، ج1، ص601.

(21) الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، ج2، ص 328.

(22) الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص 328؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص815؛ العيني: بدر الدين محمود: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1431هـ/2010م، ج3، ص301.

مصر والشام والحجاز واليمن وبلاد الشرق[23]، وفي سنة 783هـ/1381م شحت الأمطار وحصل بالمدينة وبلاد الحجاز عامة قحط عظيم[24]، وكذلك اشتد الغلاء سنة 831هـ/1472م وذلك لعدم هطول الأمطار[25].

وتعرضت كذلك لعدد من الأوبئة المهلكة وتسبّبت في حدوث مجاعات وأزمات اقتصادية خانقة, ففي سنة 735ه/1334م وقع في المدينة وباء، فكان يموت في كل يوم خمسة عشر إنسانًا بمرض الخوانيق[26] مما أدى إلى اضطراب الأحوال الاقتصادية فيها[27]، كما

(23) العيني: عقد الجمان، ج3، ص301.

(24) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص460؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص337؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج1، ص669.

(25) المقريزي: السلوك، ج4، ق2، ص779.

(26) **الخوانيق**: داء يأخذ الناس والدواب في الحلوق، يمتنع معه نفوذ النَّفَس إلى القلب والرئة، سمي بذلك لكونه يخنق الإنسان ويبحّ صوته، وهو المعروف حديثًا بمرض الذبحة الصدرية الناشئ عن مرض القلب التاجي. **والذبحة الصدرية**: اضطراب في الصدر له أعراض قوية وغريبة وجديرة بالاعتبار لدرجة خطورتها، ويشعر المصابون بهذا المرض بالتعرض للخنق والقلق، وألم غير مريح في الصدر أثناء مشيهم، **ومرض القلب التاجي**: يعود إلى تصلب الشرايين، وهو مرض تنسدّ فيه الشرايين التاجية تدريجيًا بالدهون، ويؤدي تضيّقها إلى حدوث أعراض الذبحة الصدرية، وفي حال انسداد الشرايين تمامًا تحدث النوبة القلبية، ومن الممكن أن يتسبب مرض القلب التاجي بحدوث عدد من المشاكل للقلب، وكلها بسبب عدم كفاية وصول الأكسجين إلى عضلة القلب. للمزيد انظر: ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس: القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، ج2، ص 287؛ ابن منظور: لسان العرب، ج15، ص1281؛ الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مراجعة محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1429هـ/2008م، ص946؛ خضير عباس المنشداوي: الأورام السرطانية الخبيثة والحميدة في الطب الإسلامي، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الأول، 2012م، كريس دايفيد سون: الذبحة الصدرية والنوبات القلبية، ترجمة: مارك عبود، Family Doctor Publications Limited، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية KACST، ط1، 1434هـ/2013م، ص 126؛ ص 4، 49.

(27) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص387.

وقع في المدينة وباء سنة750هـ/1349م, شمل عامة بلاد الحجاز وبواديها[28]، ولعل هذا الوضع كان متأثر بالوباء الذي شمل بلاد الشرق والغرب[29].

ثانيًا: الأسباب البشرية

عمد بعض الأشراف إلى فرض المكوس[30] على الأهالي والتجار والمزارعين، وتسبب ذلك الإجراء في حدوث أزمات اقتصادية تمثلت في

(28) الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص330؛ المقريزي: السلوك ج2، ق 3، ص 798؛ ابن تغري بردي: أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1426هـ/ 2005م، ج10، ص 233؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص 238.

(29) كان هذا الوباء مروعاً, اجتاح الأرض من أقصاها إلى أقصاها، وكان مقدمة لتناقص أعداد السكان في الشرق الأدنى وفي أوروبا على حد سواء، وقد عرف المسلمون هذا الوباء الشامل باسم "الفناء الكبير"،= =على حين عرفه الغرب الأوربي باسم "الموت الأسود أو الطاعون الأسود"، وشملت وفياته الإنسان والحيوانات، وذكر المؤرخون أن منشأ هذا الوباء كان في شرق آسيا في الصين والهند وانتشر فيها منذ عام 742هـ/1341م, وانتقل منها إلى بقية أنحاء العالم خلال السنوات التالية. للاستزادة حول هذا الوباء وما نتج عنه انظر ابن كثير: أبو الفداء ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، 1433هـ/2012م،ج9، ص485؛ المقريزي: السلوك،ج2، ق3، ص772 ـ 779؛ ابن تغري بردي: أبو المحاسن يوسف: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1998م، ج3، ص194 ـ 195؛ هدى محمد القحطاني: الكوارث الطبيعية في مصر في العصر المملوكي وآثارها، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الدمام، 1434هـ، ص 95.

(30) **المكوس**: في اللغة: الجباية، يقال مكسه مكسًا، والمكس هي الضرائب التي تؤخذ عن المبيعات والمشتريات، أي عن التجارة، يجبيها جباة المكس، أي العشارون من الأسواق ومن المواضع المخصصة لمرور التجار بها، وهي كلمة استخدمت تحديدًا للدلالة على ضريبة لا مشروعية لها في الفقه الإسلامي، وبسبب الطابع غير الشرعي الخاص لهذه الضرائب، فقد نظر إلى إبطالها من قبل حكام المسلمين، على أنه تصرف ينم عن فضيلة دينية ذات طابع خاص. للمزيد انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج48، ص4248؛ محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز، ص95؛ ريتشارد تي مورتيل: دراسات في تاريخ مكة المكرمة والمدينة

الغلاء في بعض السنوات، ومن ذلك الغلاءُ الذي وقع سنة 719هـ/1319م بسبب فرض أمير المدينة منصور بن جماز (ت 725هـ / 1324م)[31] المكوس على البضائع القادمة إلى المدينة فزادت الأسعار وقلت الأقوات وأصبح غالب عيش أهل المدينة من زرعها، وكانت العقوبة الصارمة تفرض على من يشتري أو يبيع دون دفع المكس المخصص[32]، كما فرض أمير المدينة[33] مكوساً على التاجر والمستهلك سنة 743ه/1342م, وسنة 746هـ/1345م فارتفعت أسعار المأكولات والغلال، وتضرر الناس من ذلك[34].

المنورة وجدة في العصر الإسلامي الوسيط، ترجمة وتعليق: محمد الفريح، كرسي الأمير سلمان بن عبد العزيز للدراسات التاريخية والحضارية للجزيرة العربية، الرياض، 1436هـ/2015م، ص311؛ وللمزيد حول معنى وتطور وأنواع المكوس انظر: القلقشندي: الشيخ أبي العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب المصرية، د.ط، 1922م، ج3، ص468 ـ 471؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص267، هامش رقم 4؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ط، 1388هـ، ص505 ـ 509؛ محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983، ص325.

(31) منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم، أمير المدينة، تسلم المدينة من أبيه بعدما كان قد أضرّ وشاخ وضعف، وقام بالإمرة إلى أن قُبض عليه في موسم سنة 716هـ/1316م، ثم أعيد إلى الإمارة فأقام عليها إلى أن مات قتيلًا سنة 725هـ/1324م. للمزيد انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص 300 ـ 301؛ ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص303؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج11، ص281؛ عارف أحمد عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة 1هـ/ 1417م، دار كنان، د.ط، 1996م، ص 267.

(32) نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص165؛ السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تحقيق: أسعد طرابزوني الحسيني، المكتبة العلمية بالمدينة، ط1، 1399هـ/1979م، ج3، ص707.

(33) هو الطفيل بن منصور حيث تولاها للمرة الثانية. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج1، ص75.

(34) السمهودي: علي بن أحمد: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1430هـ/2009م، ج2، ص229؛ علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1393هـ/1973م، ص181.

وترى الباحثة إن المكوس وإن كانت موردًا هامًا للدولة فهذا ليس مبررًا كافيًا لفرض المكوس الباهظة على الأهالي والتجار والحجاج, بل في هذا تكليفهم ما لا يطيقون، وفرض المكوس الباهظة سبب في حدوث أزمة اقتصادية كبيرة يعاني منها السكان لفترة ربما يمتد أثرها طويلاً.

ثالثًا: الأسباب السياسية

استقرار الوضع السياسي لأي دولة من شأنه أن يؤدي إلى انعاش الحياة الاقتصادية فيها، نظرًا لسهولة التنقلات بين الأماكن والطرقات وارتياد الأسواق، ورواج السلع، فتعم حالة الرخاء الاقتصادي، على العكس من ذلك فاضطراب الأحوال السياسية في المنطقة نتيجة نزاعات بين الأشراف أو حدوث ثورات وفتن يؤدي إلى حدوث أزمات اقتصادية بما يؤثر سلبًا على المستوى المعيشي للأهالي.

ففي سنة 749هـ/ 1348م هاجم طفيل بن منصور (ت752هـ/1351م)[35] المدينة ونهبت بعض الدور، وكسرت جميع الدكاكين في السوق[36]، كذلك هجمات بعض القبائل التي ساندت بعض الأشراف كان لها تأثير سلبي على الوضع الاقتصادي في المدينة، ففي سنة750هـ/1349م تعرضت المدينة لهجمات بعض القبائل التي ساندت طفيل بن منصور الذي عزل بابن عمه سعد بن ثابت بن جماز (ت752هـ/ 1351م)[37] فانتقم طفيل بأن هاجم المدينة بمساندة من تلك

(35) طفيل بن منصور بن جماز بن شيحة، أمير المدينة بعد مقتل أخيه كبيش عام 728هـ/1328م، دخل في صراعات مع أبناء أعمامه على الحكم ثم عزل عن الإمارة وتوفي سنة 752هـ/1351م. للمزيد انظر: ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص308؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج1، ص 258 ـ 260؛ عارف أحمد عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة، ص 274؛ ريتشارد تي مورتيل: دراسات في تاريخ المدينة، ص 520.

(36) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص312.

(37) سعد بن ثابت بن جماز بن شيحة بن هاشم بن مهنا، أمير المدينة المنورة في سنة 750هـ/1349م،كان مشكور السيرة، ينصر السنة ويقمع البدعة، توفي سنة 752هـ/1351م. للمزيد انظر: ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص 314؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج2، ص80؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج2، ص 125 ـ 127؛ عارف أحمد عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة، ص 279؛ ريتشارد تي مورتيل: دراسات في تاريخ المدينة، ص 523.

القبائل ونهب الكثير من الأحياء والأسواق والدور والمدارس، كما نهب ما كان بها للحجاج[38]. وفي سنة 1375/777م هاجمت القبائل القاطنة شمال المدينة الحجاج وقطعت عليهم الطريق ونهبوا ما كان معهم من مؤن وجمال، وقتلت أعدادًا منهم[39]، وعندما تولى الأمير مانع بن علي بن مسعود (ت 759هـ/ 1358م) [40]، اضطرب الوضع السياسي في عهده وكثرت الفتن، وتتابعت الغارات على المدينة من آل منصور، فكان يستعين عليهم ببعض القبائل من بني لام، مما أدى إلى نقص الأموال لإغداقه على القبائل التي تدعمه عسكريًا حيث كان يجزل لهم العطاء، وطلب المساعدة من أهل المدينة ومن الخدام والمجاورين، وحصل جورٌ منه على المجاورين وأهل المدينة وساءت أحوالهم المعيشية تبعًا للاضطراب السياسي والعسكري[41].

وفي ظل الصراع على الإمارة بالمدينة عُزل جماز بن هبة (ت812هـ/1409م)[42] من منصبه سنة 811هـ/1408م بعد أن تولى الإمارة عدة مرات، فانتقم بأن أخذ حاصل المدينة وخرج إلى البرية[43].

---

(38) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص315؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج 2، ص258 . 259.

(39) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص257؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص161.

(40) مانع بن علي بن مسعود بن جماز بن شيحة، أمير المدينة النبوية بعد وفاة الفضل بن قاسم عام 754هـ/1353م، كان أولًا مستضعفًا ثم قويت شوكته، وساءت سيرته لا سيما من جهة عقيدته، تجاهر بالرفض، وآذى أهل السنة، وتوفي سنة 759هـ/ 1358م. للمزيد انظر: ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص317؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج1، ص 94؛ عارف أحمد عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة، ص 283؛ ريتشارد تي مورتيل: دراسات في تاريخ المدينة، ص 525.

(41) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص257؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص161.

(42) جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة، أمير المدينة النبوية، ولي المدينة ثلاث مرات آخرها سنة 805هـ/1402م، قُتل في جمادى الآخرة سنة 812هـ/ 1409م. للمزيد انظر: السخاوي: التحفة اللطيفة، ج1، ص 427؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص 288؛ ريتشارد تي مورتيل: دراسات في تاريخ المدينة، ص 528.

(43) المقريزي: السلوك، ج4، ق1، ص75 ـ 76؛ السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1424،1هـ/2003م، ج3، ص71؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج1، ص427 ـ 428.

رابعًا: أسباب أخرى

حدثت أزمات اقتصادية طارئة, ولم يكن لها سبب معين مثلما حدث في سنة 721هـ/1321م, حيث اشتد الغلاء في المدينة وعُدِم التمر بالكلية، وكان غلاء في الحب والسمن واللحم(44). وغلاء سنة 783هـ/1381م(45)،وفي عام 794هـ/1392م ارتفعت أسعار الغلال(46) والمأكولات(47)، وكذلك سنة 855هـ/1451م(48).

وذكر ابن إياس في أحداث سنة 912هـ/1506م أن المدينة شهدت حالة غلاء شديدة؛ نتيجة لغرق عدد من المراكب التجارية المحملة بالقمح، المرسلة من مصر والشام(49)، ويبدو أن السبب الجماعي لغرقها هو تعرضها لرياح شديدة قلبت المراكب وفقدت حمولتها.

على كل فإن الأزمات الاقتصادية وما تبعها من أوبئة أو مجاعات ليست شيئًا مفروضًا على الإنسان، كما أنها ليست ناجمة عن الظروف الطبيعية دون أن يكون للإنسان نصيب منها، بل هي ظاهرات مادية

---

(44) الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص329؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص173.

(45) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص460؛ ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي: أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م، ج2، ص54؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص337.

(46) **الغلال**: جمع غلّة، وهو لفظ فارسي معناه: حبوب، دخل العربية في العصر الإسلامي ولازال من الدارج على ألسنة الناس في كثير من البلاد العربية بنفس اللفظ والمعنى. للمزيد انظر: مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996م،، ص332.

(47) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج13، ص173.

(48) السخاوي: محمد بن عبد الرحمن: التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق: لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كامل، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1426هـ/2005م، ج3، ص90.

(49) ابن إياس: محمد بن أحمد: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 1429هـ/2008م، ج4، ص 103.

اجتماعية تقع آنًا وتنقطع آنًا آخر، فهي تقع عندما تجتمع أسبابها ودواعيها, وتنقطع عندما تنتهي تلك المسببات[50].

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الأزمات الاقتصادية

كان للأزمات التي تعرضت لها المدينة آثار مختلفة سواء على المجتمع المدني اجتماعيًا واقتصاديًا وصحيًا، أو على الأرض وإنتاجيتها واستهلاكها، أو على الكائنات الحية، وتفاوتت تلك الآثار ما بين طفيفة وشديدة، وهي على النحو التالي:

أولًا/ غلاء الأسعار: تعرّض سكان المدينة في وقت الأزمات الاقتصادية لأصعب المراحل المعيشية؛ فموجات الجفاف أدت إلى انعدام المياه، وتأثر الزراعة، وقلة المنتوج، وشح المحاصيل والمواد الغذائية، وارتفاع أسعارها في الأسواق، وعجز الأهالي عن الالتزام بما عليهم من واجبات حيال أسرهم وبيوتهم، ففي سنة 695هـ/ 1295م شهدت المدينة حالة غلاء عظيمة، وارتفاع أسعار المواد الغذائية، وبلغ مثلاً غرارة[51] القمح في المدينة ألف درهم، وغرارة الشعير سبعمائة درهم[52]، وصاع[53] التمر ـ الذي كان يُعد من الوجبات الرئيسة للناس ـ خمسين

(50) المقريزي: أحمد بن علي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 1429هـ، ص 44.

(51) **غرارة**: أصله وعاء من الخيش يوضع فيه القمح ونحوه، توسّع الناس في استعماله في العصرين المملوكي والعثماني، فأصبح عندهم من المكاييل، وهو أكبر من الجوالق، يعادل ثمانين مداً، والمدّ عند أهل الشام من مكاييل الحبوب والزيتون، زنته 18كغ من الحنطة, ويتألف من 12 كيلاً أو 72 مداً. للمزيد انظر: ضيف الله الزهراني: أسعار المواد الغذائية، ص105؛ مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص330.

(52) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص815؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص 328؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج8، ص 211 ـ 212، العيني: عقد الجمان، ج3، ص301.

(53) **الصاع**: الصاع الشرعي يتألف من أربعة أمداد، وهو مكيال أهل المدينة، والمد يعادل 812,5 غم قمح، وبذلك فالمد الشرعي يساوي 1,05 لتر، وقد شاع استعمال المد منذ فجر الإسلام بالمدينة النبوية وانتشر

درهماً، مع عدم وجوده في الأسواق، ووصل الأمر بأهل المدينة والوافدين إليها من الحجاج وغيرهم إلى أكل الرديء منه؛ لانعدامه وحاجة الناس إليه(54)، وكان السعيد من أهل المدينة من يتغدَّى بليلة(55)، ورغم رداءة هذه الوجبة إلا أن ابن فرحون وصفها بأنها كانت عندهم مثل الحلوى، في حين كان عشاؤهم دشيشة(56) أو حريرة(57)، بسبب الجوع لما حلّ بهم من القحط(58)، وفي سنة 721هـ بلغ القمح الإردب المصري مائتين وأربعين درهمًا، وعدم التمر، وبلغت قيمة أوقية(59)

فيها إلى سائر الأقاليم الإسلامية، للمزيد انظر: فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، د.ط، 1970م، ص 63، 74؛ طلال البركاتي: مكاييل بلاد الحجاز، ص 79.

(54) ابن فرحون: عبد الله بن محمد المالكي: نصيحة المشاور وتسلية المجاور، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م، ص98.

(55) **البَليلة**: حِنْطَة أَو ذرة تغلى فِي المَاء وتؤكل. إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ص72. وهي اليوم أكلة شعبية واسعة الانتشار في البلاد الإسلامية لا سيما الحجاز، وتتكون من الحمص المغلي، والخيار المخلل وأنواع البهارات التي تضاف إليها.

(56) **الدشيشة**: طعام مصنوع من القمح، كان يرسل من بين الجرايات إلى أهل الحرمين الشريفين ليطعم به الفقراء والمستحقين في العصرين المملوكي والعثماني. للمزيد انظر: مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 182.

(57) **الحريرة**: الحساء من الدقيق والدسم، وقيل: دقيق يطبخ بلبن أو دسم، وقيل الحريرة من الدقيق. الزبيدي، تاج العروس، ج10، ص 586.

(58) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص99.

(59) **الأوقية**: من الموازين المشهورة، شاع استخدامها في أغلب بلدان العالم الإسلامي، وتفاوتت تقاديرها، والأوقية المكية رطلان مصريان ونصف أو ثلث، والأوقية الشامية خمسون درهمًا، وهي تعادل الآن 120 غرام. = =للمزيد انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص171؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص 329؛ فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص 19؛ ضيف الله الزهراني: أسعار المواد الغذائية، ص 110.

السمن خمسة دراهم، واللحم كذلك، المنّ[60] بخمسة دراهم[61]، وفي سنة 727هـ/ 1326م بيع صاع القمح بثمانية عشر درهماً، ومات بسبب ذلك كثيرٌ من الناس، وتوجّه من عاش منهم إلى السؤال[62]، أما سنة 783هـ/ 1381م فقد بلغت الغرارة في المدينة أربعمائة درهم، وارتفعت الأسعار أكثر لما قدم الحاج في الموسم حيث بلغت الويبة[63] الدقيق خمسين درهمًا[64] وما فوقها، والويبة الشعير أربعين درهمًا[65]، وفي عام 794هـ/ 1392م بلغت ويبة القمح ثمانية عشر درهمًا، وويبة الشعير خمسة عشر درهمًا, وويبة الدقيق ثمانية عشر درهمًا[66]، وفي سنة

(60) **المنّ**: وحدة من وحدات الوزن تساوي رطلين، وكل رطل 130 درهمًا، ويختلف تقديره حسب وجود استعماله في الدولة الإسلامية، فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص 45.

(61) الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص 329.

(62) الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص 179.

(63) **الويبة**: من المكاييل قدره أربعة وعشرون مداً، وهو مكيال مصري بالدرجة الأولى، ومقداره عشرة أمنان، والمن يساوي رطلين كل رطل 130 درهما وهو يعادل 12.168 كغم قمح، أما **المد**: فهو نوع من المكاييل شائعة الاستعمال في بلاد الحجاز. للمزيد انظر: محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1410هـ، ص156؛ ضيف الله الزهراني: أسعار المواد الغذائية، ص 104؛ طلال شرف البركاتي: مكاييل بلاد الحجاز في عهد الرسول –ρ– وخلفائه الراشدين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1413هـ، ص 116.

(64) **الدرهم**: من أنواع العملات المعدنية التي تداولها العرب المسلمون منذ بداية العصر الإسلامي، اشتق اسمها من الأصل اليوناني دراخمة DRACHMA، جاءتهم عن طريق الفرس، والدرهم مصكوك من الفضة والنحاس، وقد تغيّرت قيمته من حيث تركيبته وقوته الشرائية بتغير الأزمنة وتعاقب الدول، والدرهم يعادل الدينار الذهبي القديم، وكل دينار عشرون درهمًا، ويزن 3,5 غرام، وينسب إليه مختلف أنواع المبيعات المواد الغذائية. للمزيد انظر: محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص74؛ مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 179؛ ضيف الله الزهراني: أسعار المواد الغذائية، ص 104.

(65) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص460؛ ابن حجر العسقلاني: أنباء الغمر، ج2، ص54؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص 337.

(66) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج13، ص173؛ أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين، ص276.

855هـ/ 1451م بيع حمل الدقيق بخمسة عشر دينارًا[67]، وكذلك الذرة والدخن[68].

ثانيًا/ الحد من النمو السكاني والوفيات: كان للجوع والغلاء اللذين يقعان في المدينة في بعض السنوات نتيجة قلة الأمطار دور كبير في الحد من النمو السكاني، حيث يخلفان وراءهما الكثير من الوفيات بين أفراد المجتمع المدني، ومن ذلك ما حصل من وفيات وهلاك للسكان في سنة 727هـ/1326م, فقد أدى هذا الغلاء إلى وفاة الكثير من البشر تحت العقوبة[69]، كما أسهمت الأوبئة أيضا في إحداث وفيات، ومن ذلك ما حدث في وباء سنة 735هـ/1334م حيث مات فيه الكثير وقدرت الوفيات بخمسة عشر في كل يوم[70]، ويبدو أن هذا المرض من الأمراض المعدية التي كان لعدم وجود علاج شافٍ لها دور في كل تلك الحالات من الوفاة، كما حدث في سنة 750هـ/ 1349م وباء عظيم تسبب في وفيات عديدة أيضًا[71]، كما تسبب قحط سنة 783هـ/1384م بإحداث وفيات بين أفراد المجتمع المدني[72]، أما سنة 734هـ/1333م فقد هلكت الأنعام من

---

(67) **الدينار**: عملة ذهبية إسلامية صكت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان 86هـ/705م، تحت اسم الدينار العربي الإسلامي ليحل محل العملات البيزنطية والفارسية التي كانت تتعامل بها الدولة حتى ذلك الحين، وقد ارتبط الدينار من حيث وزنه عبر مختلف العصور بالدرهم. للمزيد انظر: مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 189 . 190.

(68) ابن تغري بردي: أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، ط1، 1410هـ/1990م، ج2، ص343؛ السخاوي: محمد بن عبد الرحمن: التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق: لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كامل، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1426هـ/2005م، ج3، ص90.

(69) الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص179.

(70) المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص387.

(71) الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص330؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 798؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص233؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص238.

(72) نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص337؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج1، ص669.

الجمال والخيول[73]، وكذلك سنة 843هـ/ 1439م هلك كثير من الناس، وأهملت أنعامهم، وأخذها من وجدها، وجفت الأرض لعدم وجود من يزرعها ويقوم بها[74].

ثالثًا/ حدوث المجاعات والعطش وتفاقم الأمراض: تعرض سكان المدينة للقحط الناتج عن قلة الأمطار أو ندرتها سنوات عديدة، أو انعدامها بالكلية لعدد من المجاعات؛ نتيجة قلة المواد الغذائية المهمة أو فقدانها من السوق فضلًا عن الأوبئة المهلكة[75]، كما أدى إلى هلاك جماعة كثيرة في المدينة من الجوع بعد أن عدمت الكثير من الأقوات الضرورية فيها حتى إنه في سنة من السنوات أكلت الجلود والعظام[76]. وكذلك عانوا من العطش نتيجة هجوم الجراد سنة 826هـ/1422م[77]، وتعاقبت عليهم الكثير من الأزمات والمشكلات من هذا النوع، لقلة المياه أو ندرتها، فضلاً عن ارتفاع أسعارها في كثير من السنوات، كما حصل سنة 777هـ/1375م حيث مات الحجاج في طريق العودة بالمدينة المنورة نتيجة ما حصل لهم من سلب من بعض العربان، فمات منهم الكثير بسبب القتل والعطش والجوع[78]. وقلة الأمطار وتكاثر أوقات القحط أدت -بلا شك- إلى انتشار الأوبئة وتفاقم بعض الأمراض الناتجة عن سوء التغذية؛

---

(73) اليافعي: عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1993م، ج4، ص291؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص374.

(74) المقريزي: السلوك،ج2، ق1، ص101؛ ج2، ق2، ص374؛ ج3، ق1، ص449.

(75) عبد العزيز بن راشد السنيدي: أثر الأوضاع البيئية على الحياة الاجتماعية في مكة منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري . دراسة تاريخية حضارية .، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج19، ع40، ربيع الأول 1428هـ، ص437.

(76) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص460؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج2، ص 54؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص337؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج1، ص669.

(77) المقريزي: السلوك، ج4، ق2، ص633.

(78) المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص257؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص161.

وذلك لحدوث نقص أو انقطاع بعض الأدوية والعقاقير الطبية التي اعتمدت على النباتات في تركيبها[79]، وكذلك هلاك الكائنات الحية الأخرى كالماشية والجمال والدواب، فإن في انتشار الجثث وتعفنها انعدام المستوى الصحي وتلوث الهواء، ولكل ذلك أثرٌ مباشرٌ على السكان ومستوى معيشتهم.

رابعًا/ إتلاف المزارع والهجرات الجماعية: شكلت الآفات الزراعية كارثة على المجتمع المدني لما ترتب على ذلك من القضاء على الموسم الزراعي، وإتلاف المحاصيل الزراعية، وارتفاع أسعار الموجود منها في الأسواق، فكان لتسلط الجراد سنة 686هـ/ 1287م أن أجدبت الأراضي تمامًا؛ فقد أكل خيرات الأراضي، وأفسد المحاصيل الزراعية كما بث الرعب في قلوب الناس نتيجة الدوي الذي صدر منه[80]، وأدى إلى غلاء فاحش في أسعار المواد الغذائية، وندرة الأطعمة في الأسواق، وعدم حصول السكان على كفايتهم سواء من الأطعمة أو من المياه اللازمة للحياة نتيجة قضاء الجراد سنة 727هـ/1326م على الأراضي الخصبة في المدينة، والتهامها للزرع والنخيل والجريد والمحاصيل الزراعية كافة، فنتج عن ذلك فقر شديد في المجتمع المدني اضطر البعض منهم إلى الحاجة والسؤال[81]، وكان لكل ذلك انعكاسات خطيرة على حياة أهالي المدينة ومعيشتهم. كما أدت تلك الآفات الزراعية إلى انخفاض في تعداد السكان نظرًا لبعض الهجرات الجماعية هربًا من الجوع والعطش والموت، ومن المتعارف عليه أن اعتماد أهالي المدينة في غذائهم على التمور والخضروات وخيرات الأرض، ومتى تسلطت تلك الحشرات كالجراد أو دودة الأرض على مصدرهم الغذائي حدثت أزمة اقتصادية خانقة أثقلت كاهلهم وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات [82].

---

(79) عبد العزيز السنيدي: أثر الأوضاع البيئية، ص443.

(80) المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص737؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج8، ص52.

(81) الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص 179.

(82) المقريزي: السلوك، ج4، ق2، ص 650،633؛ عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل، ج2، ص291.

خامسًا/ تخلخل التركيبة الطبقية: ولا شك أن للأزمات الاقتصادية تأثيراً على الأحوال الاجتماعية؛ فانتشار المجاعات والأوبئة وغيرها كان لها أثر في تخلخل التركيبة الطبقية للمجتمع المدني، فاضطرار الناس بعد اجتياح هذه الكوارث إلى بيع ما يملكون لشراء ما يقتاتون به يزيد من أعداد الذين لا يملكون عقب هذه الأزمات، ومن ثم يدخلون - في ظل هبوط المستوى الاقتصادي لهم - في عداد المعدمين في المجتمع، كما تقل أيضًا طبقة الأثرياء(83)، ففي عام 727هـ/1326 ونتيجة الغلاء، افتقر العديد منهم واضطر آخرون إلى السؤال، كما هجم الجراد على المزارع وأكل الثمار بحيث أن بعض من كان يتحصل لهم مائة صاع، حصل على ثلاثة، فتغيرت أحوال الناس، لما وقع بهم من شدة ونتيجة الخوف والنهب(84).

سادسًا/ تفاعل المجتمع المدني: وبحلول الأزمات الاقتصادية جرت العادة في المجتمع المدني الاجتماع والتشاور فيما يدفع عنهم تلك المصائب، وكثيرًا ما كانوا يفزعون إلى الله بالصلاة والاستسقاء والدعاء، ومن الممكن أن نقول إن الأزمات الاقتصادية والقحط وعدم نزول الغيث كانت من أسباب مظاهر التلاحم بين المجتمع المدني؛ إذ يخرجون جماعات لصلاة الاستسقاء، وكان القضاة يحثون الناس على صيام ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع يصلون صلاة الاستسقاء في مصلى العيد(85).

المبحث الثالث: الجهود المبذولة للتخفيف من الأزمات الاقتصادية

عند حدوث الأزمات الاقتصادية، كان الجميع يسهم بما استطاع لتفادي أثرها المحتمل على السكان، سواء من السلاطين أو المسؤولين أو

(83) عبد العزيز السنيدي: أثر الأوضاع البيئية، ص 433 . 434.

(84) الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص179.

(85) ابن جبير: محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي: رحلة ابن جبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ص 138؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1414هـ، ص33.

من أفراد المجتمع، حيث يقوم كل منهم بدوره لعلاج تلك الأوضاع، وتمدّنا المصادر في هذا الصدد بالأمثلة الآتية:

أولًا: جهود الحكام والسلاطين والأمراء

اهتم سلاطين المماليك بأهل المدينة عندما كانوا يتعرضون لغلاء الأسعار, وذلك إما بإسقاط المكوس على ما يباع فيها من مأكولات وتعويض أمراء المدينة عن ذلك، أو بإمدادها بالأموال والحبوب وغيرها من الأطعمة، أو حبس الأوقاف التي يعود ريعها للإنفاق على المدينة.

عمد السلاطين إلى إلغاء المكوس التي تسببت بأزمات اقتصادية في المدينة النبوية وعوضوا أمراءها بمساعدات مادية وعينية، وكانت هذه المساعدات تأتي من ريع الأوقاف في مصر والشام(86)، مما أدى إلى رفع المستوى الاقتصادي في المدينة، وسهّل كثيرًا عبور القوافل التجارية وقوافل الحج فأدى ذلك إلى انتعاش الحياة الاقتصادية بسبب يسر التعامل داخل أسواق المدينة النبوية(87)، وفيه تشجيع للحجاج والتجار على جلب البضائع والسلع إلى المدينة، كما ساعد أيضًا على الزراعة، حيث تخلص المزارعون من دفع المكوس على منتجاتهم فكثرت المزارع في المدينة وتزايد الإنتاج(88).

ففي أزمة سنة 704هـ/1304م تضرر الناس من فرض المكوس من أمير المدينة منصور بن جماز؛ مما نتج عنه غلاء الأسعار وقلة الأقوات, فشكوا الأمر إلى السلطان محمد بن قلاوون (693 - 741هـ/1293 - 1340م) عندما قدم حاجًا عام 712هـ/1312م فأبطل

(86) عائشة العبدلي: إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة، الأمانة العامة لمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، مكة المكرمة، 1419هـ، ص232.

(87) عبير حمد العباد: الإنفاق الخيري في المدينة النبوية وأثره في الحياة العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، 1435هـ، ص180.

(88) عبد العزيز بن راشد السنيدي: الرعاية الاجتماعية وأثرها على الحياة العامة في المدينة خلال العصر المملوكي، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار 22، 1427هـ، ص92.

المكوس، ومنح أميرها إقطاعات[89] في مصر والشام وجعلها وقفًا يخصص ريعه لأمير المدينة[90]، وفي أزمة سنة 719هـ/ 1319م تصدق سنة بعشرين ألف دينار لأهالي المدينة، عدا أنه بعث بعدد من السفن المحملة بالحبوب والغلال التي وزعت حمولتها على أهالي المدينة[91].

وقد حرص السلطان محمد بن قلاوون على التخفيف عن أهالي المدينة النبوية وطأة الأزمة الاقتصادية التي عانت منها البلاد سنة 720 - 723هـ/1320 - 1323م فأسقط المكوس والضرائب على المأكولات, وأوقف أوقافًا أخرى خصص ريعها لأمراء الحرمين[92], وهذا شيء مهم بالنسبة لسكان المدينة؛ لأن تجارة الطعام المتداولة وقتذاك تمثل خير تجارات المدينة, بالإضافة إلى ما أفاضه على أهل المدينة من مؤن لتجاوز الأزمة[93].

---

(89) **الإقطاع**: الإقطاع في العصر المملوكي ـ وفي عرف الدولة الإسلامية جميعًا ـ كان أمرًا شخصيًا بحتًا، لا دخل لحقوق الملكية أو لأحكام الوراثة فيه، فكان المقطِع يحلّ في الإقطاع محلّ السلطان ليتمتع بغلّاته وإيراداته فحسب، ثم يؤول جميعه إلى السلطان بمجرد انتهاء مدة الإقطاع المتفق عليها، أو بسبب وفاة المقطِع إذا كان الإقطاع مدى الحياة، أو بسبب إخلال المقطِع بشروط العقد القائم، وسواءً في ذلك ما يسمّى باسم إقطاع التمليك وهو الإقطاع العادي، أو إقطاع الاستغلال، وهو إقطاع شخص خراج جهة معينة. للمزيد انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج13، ص104 ـ 106؛ البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص37.

(90) المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط1، 1420هـ/2000م، ص134؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص165؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج3، ص315؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج1، ص677.

(91) الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص294؛ المقريزي: الذهب المسبوك، ص132؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص 164؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص443.

(92) نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص165؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج3، ص 315؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج2، ص232؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج1، ص677؛ عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ص254 ـ 255.

(93) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص181.

كما أسقط الأشرف شعبان بن حسين (764 - 778هـ/1362 - 1376م) المكوس في المدينة, وجاء في نص وثيقته بتخصيص جزء من ريع الأوقاف في مصر وبلاد الشام لكل من أميري مكة والمدينة شريطة ألا يتناول أحد منهما مكوسًا من حاج بيت الله أو زائر رسول الله ρ، ولا على ما يباع في الأسواق أو يرد من خارج الحجاز, وخصص لأمير المدينة ألف درهم سنويًا, وكتب بذلك مثال شريف ـ مرسوم ـ من مصر، أُثبت منها واحد بمكة وآخر بالمدينة وثالث عند السلطان في القلعة(94)، وقد ساعدت هذه الوثيقة في التخفيف من وطأة الأزمات الاقتصادية على الأهالي, وتخفيف تكاليف المعيشة عليهم بسبب ما وفرته من أموال دائمة.

كما أسهم الظاهر برقوق (784 - 801هـ/ 1382 - 1398م) بمساعداته لأهالي المدينة في رفع شظف العيش عنهم فانفرجت أزمة سنة 783هـ/1382م بإرسال القمح والشعير، فأرسل سنويًا ثلاثة آلاف إردب من القمح إليها, وفرَّق في فترة الغلاء كل يوم أربعين إردبًا(95)، وصار يخبز بثمانية آلاف رغيف يوميًا وزعت على أهالي المدينة، كما وزع على الأهالي من ذوي الحاجات ألف وخمسمائة إردب من القمح فانفرجت الغمة وانخفضت الأسعار فلم يمت فيه أحد من الجوع (96)، وفي غلاء سنة 793هـ/1390م أرسل صدقة من القمح، بيد أن ذلك كان بعد فوات

(94) نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص303؛ راشد سعد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، مطبعة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1414هـ، ص56، 117؛ علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة، ص 34.

(95) **الإردب**: من مكاييل المسلمين، ساد استخدامه في مصر والحجاز، قُدّر بست وبيات كل وبية أربعة أرباع، فجملته أربعة وعشرون ربعاً، والربع أكثر من الصاع. للمزيد انظر: ضيف الله الزهراني: أسعار المواد الغذائية، ص 105.

(96) الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد بن علي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ج3، ص231؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص109.

الأوان إذ أكل الناس سائر الجيف وتسبب الجوع في وباء، إلا أنه أفاض عليهم إمدادات المؤن والحبوب حتى انحل السعر[97] ورخص البيع[98].

وفي إجراء حاسم لرفع غلاء سنة 783هـ/1381م أسقط الأمير عطية بن منصور (ت783هـ/ 1381م)[99] المكوس التي كانت تؤخذ من الأهالي والمزارعين والوافدين والتجار والتي كانت تشكل الدخل الرئيسي للإمارة، وطلب من السلطان إعانة سنوية تغطي نفقات الإمارة فأجابه الأشرف لذلك[100]. وكذلك كان في مواجهة غلاء سنة 831هـ/ 1427م حيث ألغى الأمير مانع بن علي الجبايات التي فرضها سلفه الأمير خشرم بن دوغان (ت832هـ/ 1428م)[101] على الأهالي والتجار[102]. وبالتالي نرى أن في رفع المكوس وحبس الأوقاف من قبل السلاطين المماليك وأتباعهم أسهمت في تحسين ومعالجة الكثير من الأوضاع الاقتصادية في

---

(97) **انحلال الأسعار**: مصطلح مالي، ورد ليدل على أن الأسعار انتقلت من فترة الغلاء إلى فترة الرخص، فهو بذلك يدل على انخفاض الأسعار ورخصها. للمزيد انظر: ضيف الله الزهراني: أسعار المواد الغذائية، ص102.

(98) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص186 ـ 187.

(99) زين الدين عطية بن منصور بن جماز بن شيحة، أمير المدينة المنورة سنة 759هـ/1357م توفي سنة 783هـ/1381م عرف بمكارم الأخلاق والعدل، انطوت سريرته بالخير والصلاح والتوكل على الله. للمزيد انظر: ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص 319؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج 3، ص 197 ـ 198؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة، ص 285؛ ريتشارد تي مورتيل: دراسات في تاريخ المدينة، ص 526.

(100) العيني: عقد الجمان، ج3، ص439؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج2، ص219.

(101) خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبه بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة، أمير المدينة المنورة أواخر سنة 829هـ/1425م، قتل في ذي الحجة 832هـ/1428م وولايته كانت قصيرة. للمزيد انظر: الصيرفي: علي بن داود الجوهري نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ط2، 2010م، ج3، ص 175؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج2، ص 18؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص 155.

(102) عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل، ج2، ص295.

المدينة، وأسهمت الصدقات في التخفيف من موجات الغلاء والقحط والمجاعات التي كانت تواجه أفراد المجتمع المدني[103].

(103) عبد العزيز السنيدي: الرعاية الاجتماعية، ص92.

ثانيًا: جهود أمراء الحج

كذلك أسهم أمراء الحج في التخفيف من موجات الغلاء, وكثيرًا ما كان ذلك بإرسال القمح والمواد الغذائية، فقد ذكرت المصادر أن أمير الحج بكتمر الجوكندار (ت716هـ/1316م)[104] أنفق خلال حجته في سنتي 699-700ه/1299 - 1300م ثمانين ألف دينار، وجهز مراكب مشحونة بالأطعمة من جميع الحبوب والحلويات والزيت والسكر وما يحتاج إليه الحاج في الأسفار، وفرق على سكان الحرمين حتى عمّهم إحسانه[105]، ولا شك أن لمراكب الأطعمة المملوءة بمختلف المواد الغذائية والسلع الأساسية وكذلك الحلويات الفاخرة أثراً في التخفيف من حدة الغلاء الذي حصل بالمنطقة وانفراج أزمتها عليهم.

وفي سنة 787هـ/1385م أرسل الأمير جركس الخليلي (ت791هـ/1388م)[106] قمحًا كثيرًا إلى الحرمين ليعمل منه بالمدينة النبوية في كل يوم خمسمائة رغيف، فرّقت في السؤال والفقراء وذلك نتيجة الغلاء،

(104) الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله الجوكندار، ولي نيابة حماة، ثم نيابة السلطنة بقلعة الجبل، أمسكه الناصر محمد بن قلاوون في عام 711هـ/1311م، ونقل إلى الكرك ويقال إنه قتل بها سنة 716هـ/1316م. للمزيد انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص 124 . 125؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج1، ص 194؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص 168؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج 1، ص 285 .

(105) العيني: عقد الجمان، ج4، ص145؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص132؛ الرشيدي: أحمد: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص128.

(106) سيف الدين جركس بن عبد الله الخليلي، تركماني الأصل وأصله من مماليك يلبغا الخاصكي، من أمراء الملك الظاهر برقوق، صاحب خان الخليلي بالقاهرة، وله مآثر بمكة وغيرها، توفي في معركة بين قادة المماليك بشقحب سنة 791هـ/1388م. للمزيد انظر: ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج 2، ص 366 . 367؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 11، ص 383؛ ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: محمد فهيم شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1988م، ج 1، ص 233؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج 1، ص 276.

ولم يبق في المدينة حينها من يسأل عن جوع[107]، وكان لذلك أثر طيب في نفوس أهل المدينة والقادمين إليها، وحصل بتلك المساعدة غاية النفع للمحتاجين.

ثالثًا/ القوافل التجارية: وكان لقدوم القوافل التجارية دور في انحلال الأسعار[108] مثلما حدث في غلاء سنة 751هـ/1350م الذي صاحب الوباء الكبير، فقدوم القافلة التجارية أدى إلى انحلال السعر قليلًا، ثم تبع ذلك سقوط الأمطار, وامتلأت الآبار والبرك[109]، كما وصلت المؤن مع الركب الرجبي سنة 783هـ/1381م فانحلت الأسعار ورخصت, خاصة أسعار الدقيق[110].

رابعًا: الجهود المبذولة لتفادي الأزمات

كان هناك جهود استباقية لتفادي الأزمات الاقتصادية وما ينتج عنها من غلاء أو جوع أو عطش، أو ندرة المواد الغذائية الأساسية منها، فكان السلاطين وعدد من المسؤولين يبعثون الغلال كالقمح والشعير لأهالي المدينة، ومن ضمن هذه المساعدات نذكر التالي:

السلطان بيبرس الذي بعث صدقاته لأهالي المدينة أكثر من مرة ففي عام 662هـ/1263م بعث صدقة للأهالي أثناء تجهيزه كسوة الحجرة النبوية وكانت بصحبة الطواشي[111] جمال الدين محسن الصالحي

---

(107) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص536؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص 348؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص366؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج1، ص671.

(108) **انحلال الأسعار**: مصطلح مالي ورد ليدل على أن الأسعار انتقلت من فترة الغلاء إلى فترة الرخص، فهو بذلك يدل على انخفاض ورخص الأسعار. للمزيد انظر: ضيف الله الزهراني: أسعار المواد الغذائية، ص 102.

(109) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص816.

(110) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص460؛ ابن حجر العسقلاني: أنباء الغمر، ج2، ص54.

(111) **الطواشي**: لفظ فارسي تركي، معناه مخصي، دخل العربية في العصر الإسلامي المتأخر ليصبح لقبًا للخصي المملوك الذي كان يستخدم في القصور السلطانية ضمن أجنحة الحريم لخدمة نساء السلطان. للمزيد انظر: مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 308؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص 109.

(ت668هـ/ 1269م)[112]. وعندما قدم للحج عام 667هـ/1268م تصدق مرة أخرى بمال عظيم في الحرمين المكي والنبوي وشملت صدقاته الفقراء والمساكين, كما أنه أعطى بعض خواصه جملة من المال ليتم تفريقها سراً على المحتاجين[113]. وفي سنة 675هـ/1276م كان للظاهر بيبرس صدقات كثيرة إذ أرسل في كل سنة عشرة آلاف إردب قمح للفقراء والمساكين وأرباب الزوايا وكان قد رتب في أول رمضان مطابخ لأنواع الأطعمة قدمت للفقراء والمساكين[114].

وأرسل السلطان المؤيد شيخ (815 - 824هـ/1412-1421م) في سنة 818هـ/1415م الكثير من الأموال والغلال لأهالي المدينتين المقدستين[115].

وعند زيارته المدينة سنة 884هـ/1479م رفع السلطان قايتباي المكوس المفروضة على الأهالي والتجار والزائرين القادمين لأداء فريضة الحج, وعوّض أميرها بعض الأموال, وأنفق على أهلها من الصدقات والأعطيات وفرّق ستة آلاف دينار، كما وقف ستين ألف دينار على أهل المدينة لشراء عدة أماكن لصنع الدشيشة[116]،كما وقف ستين ألف دينار على أهل المدينة لشراء عدة أماكن لصنع الدشيشة، وذلك لما وجد ما بأهل المدينة من القحط والإجحاف والفاقة الشديدة من عدم المؤونة والقوت، وذلك أثناء حجه في تلك

---

(112) جمال الدين محسن الصالحي النجمي الطواشي، شيخ الخدام بالمسجد النبوي، توفي سنة 668هـ/1269م. للمزيد انظر: السخاوي: التحفة اللطيفة، ج3، ص449.

(113) ابن عبد الظاهر: محيي الدين عبد الله ابن عبد الظاهر بن نشوان السعدي المصري: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط1، 1396هـ، ص355؛ ابن كثير: الحافظ بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2012م، ج9، ص192؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص289؛ المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص581؛ المقريزي: الذهب المسبوك، ص121؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص 96 . 97.

(114) السيوطي: حسن المحاضرة، ج 2، ص 76.

(115) نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص 529.

(116) نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج4، ص656؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج3، ص411؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج2، ص183 . 233؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج3، ص،161.

السنة[117]. وخصص السلطان قايتباي مركبين كبيرين لنقل الغلال من القمح والحوائج من المستلزمات إلى المدينة، وفيهما كل ما يحتاجانه من فرن وطاحون وصهريج ماء حلو ومبيت وإسطبل للخيل[118]، وجهز في سنة 889هـ/1484م أحمالًا من الحب والدقيق والقدور النحاسية التي جعلت برسم سماط المدينة النبوية[119] مما يدل على اهتمامه بتوفير الأطعمة لأهاليها وضمان مورد لاستمرار الصرف على الدشيشة. الجدير بالذكر أن الدشيشة استمرت وقفًا خيريًا لما بعد سقوط دولة المماليك، حيث حرص سلاطين الدولة العثمانية بعد ذلك على دعم هذا الوقف بغية استمراره، كما حرصوا على الإنفاق عليه وزيادة موارده باعتباره من الصدقات الدائمة, ولما له من فضل تخفيف التكاليف المعيشية على أهالي المدينة النبوية.

وفي سنة 703هـ/ 1303م أرسل الأمير سلار (ت710هـ/1310م)[120] عشرة آلاف إردب قمح إلى الحجاز وأعطى المجاورين والسكان، وتصدّق بصدقات كثيرة وسدد فاقة ذوي الحاجات.

(117) نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج4، ص656؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج3، ص411؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج2 ، ص183 ـ 233؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج3 ، ص165.

(118) عبد اللطيف إبراهيم: وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، 5 ـ 10 جمادى الأولى 1397هـ، جامعة الرياض، ص 252.

(119)أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص 174 ، انظر النقش ونصّ الوثيقة ص 384.

(120) الأمير سيف الدين سلار بن عبد الله الصالحي المنصوري من مماليك الصالح علي بن قلاوون، ناب في الملك عن الناصر محمد بن قلاوون مدة عشر سنين إلى أن قبض عليه الناصر وقتله بالسجن سنة 710هـ/1310م. للمزيد انظر: الكتبي: محمد بن شاكر: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: = =إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974م، ج2، ص 86 – 89؛ ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ج2، ص106؛ الشوكاني: محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، ج1، ص 268 ـ 269.

وفعل بالمدينة مثل ذلك حيث فرّق الذهب والفضة والغلال والسكر والحلوى، وكذلك تصدق معه الأمراء[121].

كل هذه المساعدات الواصلة إلى أهالي المدينة النبوية أسهمت في التخفيف من حدة الأزمات الاقتصادية, والتخفيف من موجات الغلاء التي شهدتها، وكان لها أثر في التقليل من حدوث المجاعات, والإسهام في التقليل من خطر الأوبئة، كما أسهمت هذه المساعدات في نزول أسعار المواد الغذائية والمؤن وخاصة الحبوب فتوفرت المواد الغذائية بحيث كانت في متناول الجميع فانتعشت أحوال الناس بها, كما عمّ نفعها أطياف المجتمع كافة[122].

ويمكن القول إن أسباب الأزمات الاقتصادية وارتفاع الأسعار في المدينة كان مرجعها إلى العوامل الطبيعية والمناخية من سيول وجفاف وقحط وآفات زراعية وكوارث بيئية أخرى، وكذلك المكوس الباهظة التي كانت تجبى بها المواد الغذائية، أو النزاعات السياسية، كما أن رخاء الأسعار فيهما يعود إلى إلغاء المكوس مقابل تعويض للأمراء من السلطان بمبالغ مالية أو أوقاف يعود ريعها عليهم، أو بإرسال الأطعمة والمؤن الغذائية حتى تنفرج أزمة السكان، وهكذا كانت الجهود مبذولة لخدمة المدينة النبوية, سواء كان ذلك من السلاطين أو الأمراء لنيل الأجر والثواب من الله تعالى.

الخاتمة

(121) اليماني: تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، دار الصميعي، الرياض، ط1، 1433هـ، ص 263؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص293؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص5؛ نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص139 ـ 140؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج3، ص 1739.

(122) ريما صالح القرناس: رعاية الفئات المحتاجة في مكة والمدينة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الدمام، 1435هـ، ص 259.

وفي ختام هذا البحث يطيب لي أن أورد في إيجاز النتائج التي توصلت إليها، ومن أبرزها:

- إن أهم أسباب الأزمات الاقتصادية تعود إلى عاملين: عامل طبيعي, ويتمثل في حدوث بعض الكوارث الطبيعية كالزلازل والسيول والجراد وكذلك القحط والجفاف، وعامل بشري يتمثل في فرض المكوس الباهظة على الأهالي والحجاج والتجار والمزارعين وزائري بيت الله الحرام.

- لم تكن الأوضاع الاقتصادية في المدينة مستقرة في عصر دولة المماليك، بل كانت الأسعار تنخفض وترتفع حسب الظروف المصاحبة لها.

- كان للجوع والغلاء اللذين وقعا في المدينة في بعض السنوات نتيجة قلة الأمطار على إثر بعض الكوارث البيئية الأخرى دور كبير في الحد من النمو السكاني؛ حيث يخلفان وراءهما الكثير من الوفيات بين أفراد المجتمع المدني.

- قد يكون للأزمات الاقتصادية أثر على الأحوال الاجتماعية وتخلخل التركيبة الطبقية للمجتمع المدني؛ إذ ينتج عنه فقر شديد بين الناس، ومن ثم اضطرارهم للسؤال في ظل الحاجة وهبوط المستوى الاقتصادي فيدخلون في عداد المعدمين.

- أسهم سلاطين المماليك إسهاماً فعالاً في معالجة أوضاع المدينة الاقتصادية، وتجلى اهتمامهم بأهل المدينة عندما كانت تتعرض لموجات القحط وغلاء الأسعار، وذلك إما بإسقاط المكوس على ما يباع بها من مأكولات أو إمدادها بالأموال والحبوب، كما أسهم أمراء الحج في التخفيف من موجات الغلاء بالتصدق على الأهالي.

- أسهمت المساعدات الواصلة إلى أهالي المدينة النبوية في التخفيف من حدة الأزمات الاقتصادية، والتقليل من حدوث المجاعات, والحد من خطر الأوبئة، كما أسهمت في نزول أسعار المواد الغذائية وتوافرها في الأسواق بحيث كانت في متناول الجميع.

التوصيات

ـ ضرورة الاهتمام بالمنطقة في حال حدوث أزمات اقتصادية، بمعالجة الأسباب، ثم تقديم الحلول.

ـ المسارعة بمساعدة المنطقة المنكوبة والإسهام برفع الأزمات عنها.

ـ تقديم المواد الغذائية لمعالجة الجوع والعطش، وتحديد أسعارها؛ لتكون في متناول الجميع.

ـ ضرورة قيام كل مسؤول بدوره المناط به، للتخفيف من حدة الأزمات الاقتصادية وما يصاحبها ـ أحيانًا ـ من الكوارث الطبيعية.

ـ تقديم دراسات جادة لما حصل من أزمات اقتصادية في العالم الإسلامي، وبيان أثر ذلك على المنطقة.

جعل الله هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

خريطة أثرية تقريبية للمدينة النبوية

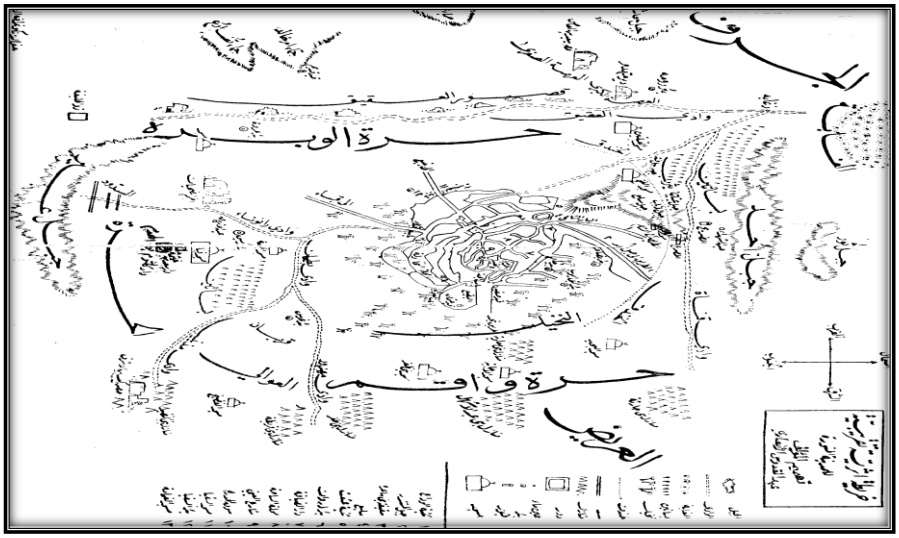

نقلًا عن: عبد القدوس الأنصاري:

آثار المدينة المنورة

المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط3، 1393هـ/1973م، ص272.

وثيقة وقف قايتباي لعمل الدشيشة في المدينة:

نص الوثيقة وصورة من النقش على باب وكالته بباب النصر بالقاهرة

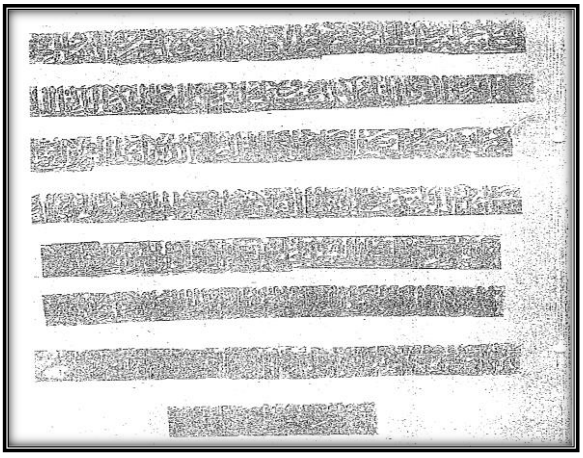

وثيقة وقف السلطان قايتباى

نص الوثيقة على باب وكالته بباب النصر بالقاهرة

بسملة ... — أمر بانشاء هذا السبيل مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين محي العدل في العالمين خلد الله ملكه بمحمد وآله وسلم وكان الفراغ من هذا السبيل المبارك السعيد في شهر رمضان المعظم قدره سنة أربع وثمانين وثمان مائة من الهجرة النبوية الحمد لله.

* * * *

بسملة ... أمر بعمارة هذا المكان المبارك سيدنا ومولانا ومالك رقابنا المقام الأعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره وجعله وقفا مصروفا أجره على جوار النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة يشترى به قمح وتعمل منه الدشيشة للمجاورين والواردين ابتغاء لوجه الله.

* * * *

بسملة .. وعلى سيدنا محمد وافر الصلوات وأكمل التسليم وعلى آله وصحبه أجمعين أمر مولانا المقام الشريف الأعظم والخاقان المنيف المعظم والسلطان الأعدل الأفخم الأكرم المنجيح إلى ظل عرش الله الأورف مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين ناشر ألوية العدل في العالمين خادم حرمي الله ورسوله بلغه الله غاية سوله ونهاية مأموله وأدار بسعوده الأفلاك الدائرة وجمع له بين خيرى الدنيا والآخرة. بانشاء هذه الوكالة المباركة السعيدة وما بباطنها وظاهرها وأعلاها من المساكن العديدة وقفا شرعيا وحبسا مرعيا صريحا مقصودا به العمل الصالح الذي لا انقطاع له ولا انبتات كما أشار إليه الحديث في عدم انقطاع الثلاث مصروفا ريعه في أحسن القربات وأولى أنواع البر والمثوبات وهو إطعام الطعام لجوار النبي عليه الصلوة والسلام من الخبز والدشيشة والتوسعة في المعيشة القاطنين في ذلك الحرم والواردين إلى ذلك المحل المنيف بحيث لا يصد عنه أحد من الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والمنقطعين جاريا ذالك عليهم أبد الآبدين ودهر الداهرين حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين تقبل الله ذلك منه قبولا جميلا وأثابه عليه ثوابا جزيلا بمحمد وآله وصحبه وسلم.

نقلًا عن: أحمد بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص 472، 478.

جدول يبين أسعار بعض السلع الهامة في المدينة النبوية أثناء فترات الغلاء:

السنة	السلعة الغذائية	السعر	وحدة الكيل والوزن + ملاحظات
695هـ/1295م	القمح	ألف درهم	السعر للغرارة
	الشعير	700 درهم	السعر للغرارة
	التمر	50 درهم	السعر للصاع
701هـ/1301م	المأكولات والغلال	غلاء عام	ارتفاع في الأسعار
704هـ/1304م	قلة الأقوات	غلاء عام	بسبب المكوس
721هـ/1321م	التمر، السمن،	غلاء عام	عدم التمر بالكلية وكان غلاء في
	الحب، اللحم		السمن والحب واللحم
734هـ/1333م	المحاصيل الزراعية	غلاء عام	اضطراب الأحوال الاقتصادية
727هـ/1326م	القمح	18 درهم	سعر الصاع
743هـ/1342م	الغلال والمأكولات	غلاء عام	بسبب المكوس
783هـ/1381م	الدقيق	400 درهم	سعر الغرارة
	الدقيق	50 درهم	سعر الويبة أثناء قدوم الحاج
	الشعير	40 درهم	سعر الويبة
793هـ/1391م	الحنطة	540 درهم	سعر للغرارة
794هـ/1392م	القمح	18 درهم	سعر الويبة
	الشعير	15 درهم	سعر الويبة
	الدقيق	18 درهم	سعر الويبة
855هـ/1451م	الدقيق والذرة والدخن	15 دينار	السعر للحمل
912هـ/1506م	القمح	غلاء شديد	السبب غرق مراكب قمح الدشيشة

جدول توضيحي لما تعرضت له المدينة من أزمات اقتصادية:

السنة	الحالة الاقتصادية	الأضرار والملاحظات	المصدر
666 ـ 668هـ/ 1268 ـ 1270م	غلاء وقحط	غلاء دائم بالحجاز، نتيجة الجدب والقحط، وزلزلة حدثت بالطائف.	الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص 328.
686هـ / 1287م	غلاء	حصل غلاء نتيجة السيول والجراد.	المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص737. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج 8، ص52
694هـ / 1294م	غلاء وقحط	غلاء في المدينة، وشمل ممالك المشرق والمغرب بسبب القحط.	الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص 328 المقريزي: السلوك، ج1، ق3، ص815.
695هـ / 1295م	غلاء	عدم التمر بالكلية، ولم يذكر سبب هذا الغلاء.	العيني: عقد الجمان، ج3، ص301.
704هـ / 1304م	غلاء الاسعار	فرض أمير المدينة المكوس على البضائع مما تسبب في ارتفاع الاسعار وقلة الأقوات، وكانت تفرض عقوبات على من يشتري أو يبيع دون دفع المكس المخصص.	نجم الدين ابن فهد: اتحاف الورى، ج3، ص165. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج3، ص315.
721هـ / 1321م	غلاء شديد	اشتد الغلاء بالمدينة وعدم التمر، وكان غلاء في السمن والحب واللحم.	الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص 329. نجم الدين ابن فهد: اتحاف الورى، ج3، ص171.
722هـ / 1322م	غلاء	حدث غلاء بالحجاز ووصلت المعونات من مصر وتصدق بها، ثم أغيثت البلاد.	المقريزي: السلوك، ج2، ق1، ص238.
727هـ / 1326م	غلاء وجراد	حدث غلاء بالمدينة وحدثت وفيات، وافتقرت جماعة، واحتاجوا إلى السؤال، وأكل الجراد كثيرا من الثمار.	الجزري: تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص179.

السنة	الحالة الاقتصادية	الأضرار والملاحظات	المصدر
734هـ / 1342م	غلاء جراء السيول	حدث غلاء، ولعله بسبب ما حدث فيها من سيول عظيمة أفنت العديد من الثروة الحيوانية من الجمال والخيول، وخرب أماكن كثيرة.	اليافعي: مرآة الجنان، ج4، ص291. المقريزي: السلوك، ج2، ق5، ص374.
735هـ/1343م	اضطراب الأحوال الاقتصادية بسبب الوباء	وقع في المدينة وباء، فكان يموت في كل يوم خمسة عشر إنساناً بمرض الخوانيق مما أدى إلى اضطراب الأحوال الاقتصادية فيها.	المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص387.
748هـ / 1347م	غلاء	حدث غلاء بالمدينة وكافة بلاد الحجاز في موسم الحج.	الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص330.
749هـ/1348م	سرقات ونهب	هاجم طفيل بن منصور المدينة ونهبت بعض الدور، وكسرت جميع الدكاكين في السوق	ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص312.
750هـ / 1349م	غلاء شديد ووباء	وقع غلاء شديد نتيجة الوباء العظيم الذي وقع بالمدينة، وشملت كافة بلاد الحجاز وجميع البلاد.	الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص330. المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص 398. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 233 نجم الدين ابن فهد: إتحاف الورى، ج3، ص 238.
750هـ / 1349م	هجمات وسرقات	هاجم طفيل بن منصور المدينة بمساندة من عدد من القبائل ونهب الكثير من الأحياء والأسواق والدور والمدارس، كما نهب الحجاج.	ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص315. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج2، ص258 . 259.
1375/777م	غارات وسرقات وقتل	هاجمت القبائل القاطنة شمال المدينة الحجاج وقطعت عليهم الطريق ونهبوا ما	المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص257.

السنة	الحالة الاقتصادية	الأضرار والملاحظات	المصدر
		كان معهم من مؤن وجمال، وقتلت أعدادًا منهم.	ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص161.
783هـ / 1384م	غلاء وقحط	بلغت الغرارة أربعمائة درهم، ولما قدم الحاج في الموسم ارتفعت الأسعار، وبلغت الويبة الدقيق إلى خمسين والويبة الشعير إلى اربعين.	المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص460. نجم الدين ابن فهد: اتحاف الورى، ج3، ص337.
794هـ / 1392م	غلاء في المأكولات والغلال	بلغت ويبة القمح ثمانية عشر درهما، وويبة الشعير خمسة عشر درهما وويبة الدقيق ثمانية عشر درهما.	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج13، ص173.
826هـ/1422م	غلاء	غلاء شديد حيث وصلت أسراب الجراد إلى المدينةوأكلت خيرات الأرض، وأتلفت الأرضة ما تبقى من المزارع.	المقريزي: السلوك، ج4، ق2، ص650. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج8، ص 211. الجزيري: الدرر الفرائد، ج1، ص601.
831هـ / 1472م	غلاء شديد وقحط	اشتد الغلاء بالمدينة لعدم هطول الأمطار.	المقريزي: السلوك، ج4، ق2، ص779.
855هـ / 1472م	غلاء	بيع القمح والذرة والدخن بخمس عشرة دينار.	السخاوي: التبر المسبوك، ج3، ص90.
912هـ / 1506م	غلاء شديد وغرق مراكب القمح.	كان الغلاء شديداً بالمدينة نتيجة لغرق مراكب في ميناء الطور كانت تحمل قمحًا للدشيشة التي قررها الاشرف قايتباي لسكان المدينة.	ابن إياس: بدائع الزهور، ج4، ص103.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

[1] ابن إياس: محمد بن أحمد (ت930هـ/1523م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 1429هـ/2008م.

[2] ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت874هـ/1469م): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1998م.

[3] ـــــــــ: الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: محمد فهيم شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1988م.

[4] ـــــــــ: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، علق عليه: محمد حسين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1426هـ/2005م.

[5] ابن جبير: محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي (ت614هـ/1217م): رحلة ابن جبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

[6] الجزري: شمس الدين محمد بن إبراهيم(ت738هـ/1337م): تاريخ حوادث الزمان وإنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 1419هـ/ 1998م.

[7] الجزيري: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر (ت977هـ/ 1569م): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ط2، 1429هـ.

[8] ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد (ت852ه/ 1448م): إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ/1986م.

[9] ـــــــــ: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.

[10] الرشيدي: أحمد (ت1178هـ/1764م): حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.
[11] الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ/1790م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي وآخرون، راجعه: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1395هـ/ 1975م.
[12] السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ/1496م): التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق: لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كامل، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1426هـ/ 2005م.
[13] ـــــــــ: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تحقيق: أسعد طرابزوني الحسيني، المكتبة العلمية بالمدينة، ط1، 1399هـ/1979م.
[14] ـــــــــ: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.
[15] السمهودي: نور الدين علي بن أحمد (ت911هـ/1505م): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1430هـ/ 2009م.
[16] ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس
(ت 428هـ): القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي،، د.ط، د.ت.
[17] الشوكاني: محمد بن علي (ت1250هـ/1834م): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، جزآن، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.
[18] ابن عبد الظاهر: محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان السعدي المصري (ت692هـ/ 1292م): الروض الزاهر في سيرة

الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط1، 1396هـ.
[19] العيني: بدر الدين محمود (ت855هـ/1451م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك، تحقيق: محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1431هـ/2010م.
[20] الصيرفي: علي بن داود الجوهري (ت900هـ/ 1494م): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ط2، 2010م.
[21] الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت832هـ/1428م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2000م.
[22] ـــــــــ: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/ 1998م.
[23] ابن الفرات: محمد عبد الرحيم (ت907هـ/1501م): تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1939م .
[24] ابن فرحون: عبد الله بن محمد المالكي (ت769هـ/1376م): نصيحة المشاور وتسلية المجاور، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م.
[25] الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مراجعة محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1429هـ/2008م.
[26] نجم الدين ابن فهد: عمر بن فهد محمد (ت885هـ/1480م): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1404هـ.
[27] القلقشندي: الشيخ أبي العباس أحمد (821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، د.ط، 1922م.

[28] الكتبي: محمد بن شاكر (ت764هـ/1362م): فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974م.
[29] ابن كثير: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774هـ/1372م): البداية والنهاية، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، 1433هـ/ 2012م.
[30] المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م): إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 1429هـ.
[31] ـــــــــ: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط1، 1420هـ/ 2000م.
[32] ـــــــــ: السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 1427هـ/ 2006م.
[33] ابن منظور: جمال الدين ابن منظور المصري (ت711هـ/1311م): لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت.
[34] اليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت 768هـ/1366م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط1، 1337هـ.
[35] اليماني: تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد (ت743هـ/1342م): بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، دار الصميعي، الرياض، ط1، 1433هـ.

ثانيا: المراجع

[36] إبراهيم أنيس وأخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1429هـ.
[37] إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ط، 1388هـ.

[38] أحمد هاشم بدرشيني: أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، دراسة تاريخية وثائقية حضارية، مركز بحوث ودراسات المدينة، المدينة المنورة، ط1، 1426هـ.
[39] حسن النجفي: القاموس الاقتصادي، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، 1977م.
[40] حسين حامد محمود: النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، الحميضي، الرياض، ط1، 1421هـ.
[41] راشد سعد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، مطبعة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1414هـ.
[42] ريتشارد تي مورتيل: دراسات في تاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة في العصر الإسلامي الوسيط، ترجمة وتعليق: محمد الفريح، كرسي الأمير سلمان بن عبد العزيز للدراسات التاريخية والحضارية للجزيرة العربية، الرياض، 1436هـ/2015م.
[43] ضيف الله يحيى الزهراني: أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة خلال الفترة (648-923هـ/1250-1517م)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1411هـ.
[44] عائشة العبدلي: إمارة الحج في عصر الدولة المملوكية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمكة المكرمة، الأمانة العامة لمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، مكة المكرمة، 1419هـ/1999م.
[45] عارف أحمد عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة 1ه/ 1417م، دار كنان، د.ط، 1996م.
[46] عبد الباسط بدر: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، المدينة المنورة، ط1، 1414هـ.
[47] عبد الرحمن المديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، دراسة تاريخية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1422هـ/2001م.
[48] عبد القدوس الأنصاري: آثار المدينة المنورة، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط3، 1393هـ/ 1973م.

[49] علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1393هـ/1973م.
[50] علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1414هـ.
[51] فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، د.ط، 1970م.
[52] محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1410هـ.
[53] محمد العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1425هـ.
[54] محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983، ص325.
[55] مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416هـ.
[56] كريس دايفيد سون: الذبحة الصدرية والنوبات القلبية، ترجمة: مارك عبود، Family Doctor Publications Limited، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية KACST، ط1، 1434هـ/2013م.

ثالثًا: الرسائل العلمية

[57] ريما صالح القرناس: رعاية الفئات المحتاجة في مكة والمدينة خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الدمام، 1435هـ.

[58] طلال شرف البركاتي: مكاييل بلاد الحجاز في عهد الرسول ρ وخلفاؤه الراشدين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1413هـ.

[59] عائض محمد الزهراني: التاريخ السياسي والحضاري لمكة المكرمة من خلال كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى لمؤلفه جار الله محمد بن فهد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1419هـ.

[60] عبير حمد العباد: الإنفاق الخيري في المدينة النبوية وأثره في الحياة العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، 1435هـ.

[61] فهد بن صالح النغيمشي: العمل الخيري وأثره في المجتمع المكي خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، 1430هـ.

[62] هدى محمد القحطاني: الكوارث الطبيعية في مصر في العصر المملوكي وآثارها، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الدمام، 1434هـ.

رابعا: الأبحاث العلمية

[63] خضير عباس المنشداوي: الأورام السرطانية الخبيثة والحميدة في الطب الإسلامي، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الأول، 2012م.

[64] عبد العزيز بن راشد السنيدي: أثر الأوضاع البيئية على الحياة الاجتماعية في مكة منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري ـ دراسة تاريخية حضارية ـ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج 19، ع 40، ربيع الأول 1428هـ.
[65] ـــــــــــــ: الرعاية الاجتماعية وأثرها على الحياة العامة في المدينة خلال العصر المملوكي، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار 22، 1427هـ.
[66] عبد اللطيف إبراهيم: وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، 5 – 10 جمادى الأولى 1397هـ، جامعة الرياض.

Economic Crises In The Holy City of Madina in the Mamluk Era Their Causes, Effects, and The Encounter them (648- 923 AH) / (1250 – 1517 AD)

Reema bint Saleh Al Qirnas
History Department, King Faisal University

Abstract. It is not hidden what the Madina represents a historical and religious importance for Muslims as it is the Immigration city, second of the holy mosques, city of Messenger and residence of his pure body May Peace be upon him, first capital of Islamic country. The Madina throughout of ages has got observed importance by the consecutive Islamic governments as it witnessed development of civilization during the Mamluk Era. However, obstacles have emerged which have hinder this development from time to time including the economic crises which have happened from time to time including high foodstuff prices or its rarity in market, ruin of farmer, food spoilage, and other.

The study has been divided into introduction, three themes, conclusion, and list of resources, references, and appendixes. In the first theme, the speech was for the reasons of economic crises in Madina, the second theme has discussed about the study of the resulted effects from the economic crises at different levels, the last theme was for the various efforts to minimize that, finally, the conclusion of research, then the research has been appended with appendixes consisting of the map of Medina and document Qaitbay, then the tables to indicate the prices of foodstuff, types of economic crises and years of occurrence. then list of references and resources.